P-1199

نماذج من استدلالات الشيخ ابن عثيمين العقلية لتقرير المسائل العقدية

إعداد

د. هدى بنت محمد الغفيص

أستاذ مساعد في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة القصيم





1200 Blank

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله نحمده على هذه المنة الجليلة حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حمداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على إمام المهتدين وأسوة المربين، من بعثه الله رحمة للعالمين: سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد بن عبدالله النبي الأمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن اهتدى بهداهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

فإن العلم هو حياة القلوب وغذاء العقول وزاد الأرواح ونور البصائر وشفاء الصدور ولا غرو في ذلك فهو سبيل الاهتداء إلى الخالق جل وعلا، وطريق السعادة والفلاح في الدار الآخرة.

من هذا المنطلق قامت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم بوقفة وفاء نابعة من شعور بالمسئولية تجاه شيخنا محمد بن صالح العثيمين متمثلة بندوة عن جهوده ومن محاورها ماكان له من عطاء في مجال العقيدة فحرصت على أن أتشرف بالمشاركة فيها لأنهل من علمه وأتزود من نتاج فكره ولأساهم بخدمة إرث عالم جليل شرفت بطلب العلم سماعاً منه بتدريسه لي في مرحلة الماجستير أسأل المولى أن يجعله من عمله الدائم في مماته وأن يجزيه عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أهميـة الموضـوع :

١ـ التعرف على الأبواب العقدية التي استدل فيها العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ~ بالعقل.

٢ـ حاجة طالب العلم لمعرفة أبواب العقيدة التي يدخلها الاستدلال بالعقل.

٣ـ الأدلة العقلية يتسع لها فؤاد المكابر فالحاجة قائمة للإفادة منها.

أسباب اختيار الموضوع :

١ـ منزلة الاستدلال بالعقل دافع عظيم للعناية بهذا الجانب.

٢ـ كشف مواطن استدلال الشيخ محمد العثيمين بالأدلة العقلية في العقيدة.

منهـج البحـث :

استقراء لبعض كتب الشيخ في مؤلفات العقيدة بما يحقق الغاية من البحث لإيراد نماذج من استدلاله بالأدلة العقلية وهذا ما تم التركيز عليه.

خطـة البحـث :

*** التمهيد:**

١ـ ترجمة مختصرة للشيخ محمد بن صالح العثيمين ~ .

٢ـ ألفاظ ومعاني.

٣ـ مكانة العقل في الدين الإسلامي.

٤ـ من القواعد التي أتفق عليها العلماء في باب الاستدلال بالعقل.

* **المبحث الأول**: الاستدلال بالعقل في الوحيين.

١ـ عرض لنماذج من الآيات في باب المناقشة، والاستدلال العقلي.

٢ـ عرض نماذج من حوار الرسول ﷺ الذي ختم بتقرير عقلي لاثبات مسّلم عقدي.

* **المبحث الثاني**: استدلالات الشيخ محمد العثيمين العقلية في أبواب العقيدة.

١ـ استدلاله بالعقل في باب وجود الله.

٢ ـ استدلاله بالعقل في باب الربوبية.

٣ ـ استدلاله بالعقل في باب الألوهية.

٤ ـ استدلاله بالعقل في باب الأسماء والصفات.

* **الخاتمـــة.**

التمهيد

أولا: ترجمة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

اسمه ومولده:

هو أبوعبدالله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبدالرحمن العثيمين الوهيبي التميمي.

كان مولده في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ، في مدينة عنيزة ـ إحدى مدن القصيم بالمملكة العربية السعودية.

أعماله ونشاطه العلمي:

- بدأ التدريس منذ عام ١٣٧٠هـ في الجامع الكبير بعنيزة في عهد شيخه عبدالرحمن السعدي.
- استمر مدرساً بالمعهد العلمي في عنيزة حتى عام ١٣٩٨هـ.
- درّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج وشهر رمضان والعطل الصيفية.
- كان عضواً في مجلس كلية الشريعة وأصول الدين بفرع الجامعة بالقصيم ورئيساً لقسم العقيدة فيها.
- كان عضواً في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية منذ عام ١٤٠٧هـ حتى وفاته ~ .

وفاته رحمه الله تعالى:

رزئت الأمة الإسلامية جميعها قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر

شوال سنة ١٤٢١هـ بإعلان وفاة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية وصلى على الشيخ في المسجد الحرام بعد صلاة العصر يوم الخميس السادس عشر من شهر شوال سنة ١٤٢١هـ الآلاف المؤلفة وشيعته إلي المقبرة في مشاهد عظيمة لا تكاد توصف ثم صلى عليه من الغد بعد صلاة الجمعة صلاة الغائب في جميع مدن المملكة و في خارج المملكة جموع أخرى لا يحصيها إلا باريها، ودفن الشيخ في مكة المكرمة ~ رحمة واسعة[١].

ثانيا: ألفـاظ ومعانـي

حديثنا في هذا البحث قائم على مصطلحات عدة جماعها الاستدلال بالدليل العقلي لتقرير المسائل العقدية؟

معنى نماذج في اللغة (بفتح النون: مثال الشئ)[٢].

معنى الدليل في اللغة: هو المرشد وما به الإرشاد[٣]، قال ابن منظور: الدليل هو ما يستدل به[٤].

الدليل في الاصطلاح: الدليل هو الذي يلزم العلم به العلم بشئ آخر[٥].

معنى العقل في اللغة: جاء العقل في اللغة على معان عدة منها (العقل..العِلمُ)[٦] وجاء في لسان العرب (العقل والحجر والنهى ضد الحمق)[٧].

(١) انظر كتابي الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين، ١٤ عاماً مع سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
(٢) لقاموس المحيط (٢٦٦)
(٣) التعريفات للجرجاني ص (١٤).
(٤) لسان العرب (٤/ ٣٩٤).
(٥) التعريفات للجرجاني ص (١٠٤).
(٦) تاج العروس (١٥/ ٥٠٤).
(٧) لسان العرب ص (٩/ ٣٢٦).

العقل في الاصطلاح قال الجرجاني: العقل مأخوذ من عقال البعير يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل)[١].

وقال الراغب (العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة قال أمير المؤمنين عليّ > : العقل عقلان مطبوع ومسموع، ولا ينفع مسموع إذا لم يكن مطبوعاً، كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع[٢].

وعرف الشيخ محمد بن صالح العثيمين ~ الأدلة بأنها (جمع دليل وهو ما يرشد إلى المطلوب، والأدلة على معرفة ذلك سمعية، وعقلية، فالسمعية ما ثبت بالوحي وهو الكتاب والسنة، والعقلية ما ثبت بالنظر والتأمل، وقد أكثر الله • من ذكر هذا النوع في كتابه فكم من آية قال الله فيها ومن آياته كذا وكذا وهكذا يكون سياق الأدلة العقلية الدالة على الله تعالى[٣].

أما تعريف تقرير المسائل العقدية، فتفصيله مما وقفت عليه ورأيت ملائمته لموضوع البحث أن معنى تقريرهو (بيان المعنى بالعبارة)[٤].

أما معنى المسائل (هي المطالب التي يبرهن عليها في العلم، ويكون الغرض من ذلك العلم معرفتها)[٥].

العقدية (العقائد ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل)[٦].

وجماعها الاستدلال بالأدلة العقلية لبيان المعنى المراد مما نهدف لمعرفته والتعريف

(١) التعريفات للجرجاني ص (١٥٢).
(٢) المفردات في غريب القرآن (٣٤١-٣٤٢).
(٣) شرح الأصول الثلاثة (٢١).
(٤) التعريفات (٦٤).
(٥) التعريفات (٢١١).
(٦) التعريفات (١٥٢).



به من «الأمور التي يصدق بها قلب، المرء وتطمئن إليها نفسه، وتكون يقيناً عنده لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك»[(١)].

ثالثا: مكانة العقل في الدين الإسلامي

لقد عني الإسلام بالعقل وأنزله منزلة عظيمة، ومن دلالات عناية الإسلام بالعقل عناية مصدره به، فقد ورد هذا اللفظ ومرادفته حوالي ٨٧ مرة في كتاب الله.

والإسلام رفع قيمة العقل وأعلى من شأنه وجعل التعقل والتفكير من طرق المعرفة الإسلامية وجعل العقل مناط التكليف ووسيلة الفهم والتفكير وأناط به وظائف عدة منها[(٢)]:

١ ـ فهم معاني النصوص الشرعية وإدراك الأسرار والحكم والمقاصد التي تضمنتها أحكامها

٢ ـ الكشف عن السنن التي تسير بها المخلوقات من جماد ونبات وحيوان وإنسان، قصد تسخيرها.

٣ ـ الاعتبار من الحكم والأسرار الكامنة في الكون والشرع، وإدراك الغايات البعيدة لتلك الحكم والأسرار والربط بين ذلك كله وبين وجود الإنسان في الأرض ومهمته فيها.

ومن عناية الإسلام بالعقل أنه رسم له المنهج الصحيح للعمل والتفكر ورفع من أمامه العوائق والموانع التي تعطله عن وظيفته.

قال ابن تيمية العقل إذا كان سليماً من الشوائب فإنه ميزان يزن به المرء الواردات فيفرق بين ما هو حق وما هو باطل[(٣)].

(١) رسالة العقائد (٧).
(٢) دلائل التوحيد ص (١٤٢).
(٣) الأعلام العلية (١/ ٣٤).

كما ومن عناية الإسلام بالعقل أنه شرع قواعد للحفاظ على العقل **منها**:

١ـ جعله من الضرورات الخمس التي أنزلت الشرائع للمحافظة عليها.

٢ـ حرم ما يذهب العقل قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (المائدة:٩٠).

٣ـ الحث على إعماله والحث على التدبر والتفكر، قال تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل:١١).

رابعا: قواعد في باب الاستدلال بالعقل:

اعتنى سلفنا الصالح بالعقل وبما يستدل به من خلال مسلمات عقلية نابعة من إعمال فكر في الأدلة السمعية فأولوا هذا الجانب الهام مساحة من العرض والمناقشة من دواعي ذلك:

- العقل من طرق المعرفة الإنسانية، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ (النحل:١٢).
- مخاطبة العقل أحد الأبواب التي طرقها القرآن للتأثير في الإنسان قال تعالى ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:١٧).
- أن كل دليل سمعي جاء في القرآن إنما يكون تدبره وفهمه والتفكير فيه بالعقل.
- كل عقل صريح صحيح خالص من الشبهات فإنه يطابق النقل الصحيح الصريح[١].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٨/ ٢٤٠).

- الأدلة الشرعية تنقسم إلى نقلية وعقلية[١].
- لا تعارض بين عقل صحيح ووحي صريح قال ابن القيم: «إن المعارضة بين العقل ونصوص الوحي لا تتأتى على قواعد المسلمين المؤمنين بالنبوة حقًا، ولا على أصول أحد من أهل الملل المصدقين بحقيقة النبوة»[٢].
- أهل السنة في باب الاستدلال بالعقل وسط فالناس في الاستدلال بالعقل بين غالٍ وجاف يقول ابن القيم (المعتزلة أسندوا كل شئ إلى العقل حتى جعلوا العقل حاكماً على الشرع مقدماً عليه وقالوا بالتحسين والتقبيح العقليين)[٣].
- يقول ابن تيمية (العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل لكنه ليس مستقلاً بذلك، لكنه غريزة في النفس، وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس)[٤].
- من القواعد قول ابن تيمية.. التسليم لما جاء به الوحي مع إعطاء العقل دوره الحقيقي وذلك بعدم الخوض في الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل في معرفتها فنحن لاننكر دور العقل فهو مناط التكليف ولكن نضعه من المكانة حيث وضعه الشرع[٥].
- ما من مسألة عقدية أثبتها الشرع يمكن الاحتجاج لها عقلاً، إلا وقد جاء دليلها العقليّ في النقل علم ذلك من علمه وجهله من جهله[٦].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/ ٢٢٨/ ٢٣٤).
(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ٩٥٥).
(٣) مدارج السالكين (٣/ ٤٥٢).
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٣٨، ٣٣٩).
(٥) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٧٧).
(٦) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد ص (٩).

- أن الأدلة العقلية الصحيحة البينة التي لا ريب فيها بل العلوم الفطرية الضرورية توافق ما أخبرت به الرسل لا تخالفه وأن الأدلة العقلية الصحيحة جميعها موافقة للسمع لا تخالف شيئاً من السمع[1].
- تلك قواعد ذكرها العلماء في هذا الباب وهي بمثابة الدليل لمن اراد الإبحار في هذا الجانب المبني على الحوار العقلي المبني على الأدلة الشرعية لتنقلنا للوقوف على نماذج من الاستدلالات المبنية على مناقشة العقل في الكتاب والسنة..

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٣٣).

المبحث الأول

منهج الوحيين في ترسيخ المناقشة العقلية

المطلب الأول

عرض لنماذج من الآيات في باب المناقشة والاستدلال العقلي

نبه القرآن الكريم إلى أهمية العقل في آيات كثيرة، وكان يصف الكفار بأنهم لا يعقلون ولا يفقهون، وكان ينبه إلى أن آياته لايستفيد منها إلا أولو النهى والألباب وهي العقول السليمة، وقد ساق الله جلّ وعلا في كتابه كماً هائلاً من الأدلة التي تناقش العقل، فالله سبحانه أتاح للعقل البشري أن يبدع وأن ينظر ويجتهد ويتفكر ما وسعه النظر بل ورتب له على هذا الأجر والمثوبة.

والمستعرض لكتاب الله تعالى يجد دلالات تشير إلى اشتماله على أدلة عقلية منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾ (الإسراء: ٩)، ونصوص الوحي غنية بالدلائل العقلية اليقينية في سائر أبواب الاعتقاد ولعل من أسباب ذلك أن (القرآن الكريم كتاب البشر جميعاً، فلذلك جاءت أدلته في أجلى صورة تجمع إلى الوضوح أعلى درجات الاستدلال العقلي)[1].

١ـ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٧).

أي: كما أحيينا هذه الأرض بعد موتها، كذلك نحيي الأجساد بعد صيرورتها

(١) مقدمة في التفسير ص (٤١ ـ ٤٢).



رَمياً يوم القيامة، ينزل الله، سبحانه وتعالى، ماء من السماء، فتمطر الأرض أربعين يوماً، فتنبت منه الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض. وهذا المعنى كثير في القرآن، يضرب الله مثلاً للقيامة بإحياء الأرض بعد موتها؛ ولهذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(1).

٢ـ قال تعالى ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٤٠ـ٤٣).

يخبر تعالى أنه صرف لعباده في هذا القرآن أي: نوع الأحكام ووضحها وأكثر من الأدلة والبراهين على ما دعا إليه، ووعظ وذكر لأجل أن يتذكروا ما ينفعهم فيسلكوه وما يضرهم فيدعوه.

ولكن أبى أكثر الناس إلا نفوراً عن آيات الله لبغضهم للحق ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل حتى تعصبوا لباطلهم ولم يعيروا آيات الله لهم سمعاً ولا ألقوا لها بالاً.

ومن أعظم ما صرف فيه الآيات والأدلة التوحيد الذي هو أصل الأصول، فأمر به ونهى عن ضده وأقام عليه من الحجج العقلية والنقلية شيئاً كثيراً بحيث من أصغى إلى بعضها لا تدع في قلبه شكاً ولا ريباً.

ومن الأدلة على ذلك هذا الدليل العقلي الذي ذكره هنا فقال: ﴿قُل﴾ للمشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر: ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ أي: على موجب زعمهم وافترائهم ﴿إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ أي: لاتخذوا سبيلاً إلى الله بعبادته والإنابة إليه والتقرب وابتغاء الوسيلة، فكيف يجعل العبد الفقير الذي

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٣٠

يرى شدة افتقاره لعبودية ربه إلها مع الله؟! هل هذا إلا من أظلم الظلم وأسفه السفه؟»[1].

٣ـ قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء:٢٢).

﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً﴾ استفهام بمعنى الجحد، أي لم يتخذوا، ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾ يعني الأصنام من الخشب والحجارة، وهما من الأرض، ﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ يحيون الأموات، ولا يستحق الإلهية إلا من يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم والإنعام بأبلغ وجوه النعم. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ أي في السماء والأرض، ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي غير الله ﴿لَفَسَدَتَا﴾ لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع بين الآلهة لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام»[2].

٤ـ قال تعالى ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الأنعام:١٠٠ـ١٠٢)، مناقشة عقلية (فمن كان وصفه، وهو أنه خالق السموات والأرض وما فيهما كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وإذا لم توجد الزوجة استحال وجود الولد)[3].

٥ـ قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:١٧)، حوار مع العقل أفمن يخلق هذه المصنوعات العجيبة كمن لا يخلق ؟

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٤٥٨).
(٢) معالم التنزيل (٥/ ٣١٤).
(٣) زبدة التفسير (١٧٩)

حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:٧٥)، نموذج آخر للأسلوب حوار عقلي في كتاب الله وهو ضرب المثل فبعد المقدمات يوجه السؤال (هل يستويان؟ لايستويان مع أنهما مخلوقان، غير محال استوائهما. فإذا كانا لا يستويان، فكيف يستوي المخلوق العبد الذي ليس له ملك ولا قدرة، ولا استطاعة، بل هو فقير من جميع الوجوه، بالرب الخالق المالك لجميع الممالك، القادر على كل شئ)[1].

تلك نماذج من القرآن الكريم في باب الاستدلال العقلي تتجلى فيها المحاورة العقلية في أعلى صورها تارة بضرب المثال وأخرى بإيراد الأقيسة وثالثة بالإلزام أو سبر وتقسيم أو دلالة أثر على المؤثر أو الترجيح والتفضيل وغير ذلك مما حواه كتاب الله تعالى.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٤٥)



المطلب الثاني

عرض لنماذج من الأحاديث في باب المناقشة، والاستدلال العقلي

الحوار والإقناع وضرب الأمثلة أسلوب استخدمه الرسول ﷺ كثيراً يسعى للتدرج بالمحاور حتى يصل به إلى الحقيقة الكلية التي ترفع عنه الغموض والالتباس.

من ذلك:

- ما ذكره أبو هريرة > أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله، وُلِد لي غلام أسود، فقال: (هل لك من إبل ؟) قال: نعم. قال: (ما لونها ؟) قال: حمر. قال: (هل فيها اورق ؟) قال: نعم. قال: (فأنى ذلك ؟) قال: نزعة عرق. قال: (فلعل ابنك نزعة)[1].

استخدم النبي ﷺ هنا أسلوب الحوار عن طريق الاستجواب المتدرج لإقناع السائل بحقيقة تستند إلى مسلمات ثابته لديه و انسحاب تلك المسلمات على ماسأل عنه لإزالة الشك عنده وذلك من خلال البيئة التي تحيط به، بحسب مالديه من قدرة على الفهم.

- ما رواه أنس > قال: قال أُناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ﷺ ما أفاء من أموال هوازن، فطفق النبي ﷺ يعطي رجالاً المائة ناقة فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال أنس: فحزن رسول الله ﷺ بمقالتهم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم ولم يدع معهم غيرهم، فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال: (ما حديث بلغني عنكم ؟) فقال فقهاء الأنصار: أما رؤساؤنا فلم يقولوا شيئاً، وأما ناس منا حديثة أسنانهم

(١) أخرجه البخاري كتاب الطلاق باب (٢٦).

فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال النبي ﷺ: (فإني أعطي رجالاً حديثي عهدٍ بكفر أتألفهم، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم، فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به)، قالوا: (يارسول الله، قد رضينا)[1].

استخدم النبي ﷺ الحوار مستخدماً الاستفهام الاستنكاري الاستجوابي، وكأنه ﷺ يقول لهم: ماذا قلتم؟ ولماذا؟ ثم بعد سماعة لحجتهم يرد عليهم ببيان العلة من الفعل.

ثم يستمر في حوارهم ليصل بهم إلى حقيقة يجهلونها باستفهام تقريري، فيه تحريك للمشاعر القلبية بالرضى بما قسم، وذلك بعد أن بين لهم الحكمة من ذلك، مما كان خافياً عليهم.

كان الصحابة عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: [إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ (ق: من الآية٣٩)][2].

هذا الحديث في معرض الاستدلال العقلي بضرب المثل بما هو مشاهد ومحسوس حيث إن النبي ﷺ قرر حقيقة لا لبس فيها ولا غموض يوم القيامة،وهي رؤية الله •.

ودلل للصحابة على ذلك برؤيتهم للقمر حقيقة وهو بينهم ومعهم لئلا يظن السامع أن هذا من محض الخيال أو الكناية وماشابه ذلك.

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب (٥٦).
(٢) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب (٢٤).

واكتفى بالإشارة إلى ذلك بشكل عام ولم يتطرق إلى تفاصيل أخرى في ذكر وصف الله • وماشابه ذلك، ليقف بالعقل عند هذا الحد، وحتى لا يطلق الإنسان لعقلة العنان في التفكير في الأمور الغيبية، إلا في حدود الشرع.

• وعن ابن عباس { أن أمراءة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج أفأحج عنها ؟ قال: (نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دينٌ أكنت قاضيته ؟) قالت: نعم. قال: (فاقضوا الذي له، فإن الله أحق بالوفاء)[1].. تطبيق الأحكام الشرعية منوط بالعقل، فالصغير والمجنون والمعتوه ونحوهم ممالا يعقلون تسقط عنهم و غير مطالبين بها.لذلك ممن يعقل كان لابد له وأن يقتنع بالحكم حتى يؤديه ليس فقط عن تسليم بل أيضاً عن رضى ثم عن فهم، لأن الذي يفهم الحكم قلما يخطئ فيه. ومن هنا نجد أن النبي ﷺ يتدرج بالسائل إلى أن يفهم علة الحكم الذي خفي على السائل معرفتها، فلجأ إلى أسلوب القياس وبحسب مستوى فهم السائل، فقاس حق الله • على حق العباد، وذلك بعد أن وصل بالسائلة إلى هذه النتيجه بالاستجواب.

• وعن أبي هريرة يحدّث به، عن رسول الله ﷺ قال: يد الله ملأى، لا يغيضها نفقة سحّاء اللّيل والنّهار وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السّموات والأرض فإنّه لم يغض ما في يده، وقال وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع[2].

ففي الحديث أراد النبي ﷺ الاستدلال على قضية عقدية، وهي توحيد الربوبية وذلك باستفهام تقريري على أن يد الله ملأى وأن رزق الله لاينفذ، ثم إن فيه تقرير على إثبات توحيد الأسماء والصفات، فالله • الخالق الرازق الخافض الرافع.

وكأنه ﷺ أراد أن يزيل ماقد يطرأ على فهم الإنسان من لبس أو غموض تجاه

(١) أخرجه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب (١٢).
(٢) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب (١٩) ح ٨/ ٣٥٢.

نفقة الله •، فأراد أن يبين لهم أن نفقة الخالق غير نفقة المخلوق.

وكان الأسلوب: السؤال وأتبعه الجواب.ولم ينتظره منهم لأن الإجابة قد لا تدركه عقولهم،فبادرهم بها بعد السؤال مباشرة.

- قدم على النبى ﷺ سبي فإذا إمرأة من السبي تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي ﷺ أترون هذه طارحة ولدها في النار قلنا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال الله أرحم بعباده من هذه بولدها[1].

وكذلك الأمر في توجيه الخطاب من النبي ﷺ للناس بضرب المثل من الواقع المشاهد الملموس على إثبات قضيه عقدية وهي إثبات صفة الرحمة لله •.

تلك نماذج من حواره ﷺ العقلي ما بين طرح أسئلة او طرح أمثلة لإثارة الذهن حتى يوصلة للغاية من الحوار وقد كان لها عظيم أثر في إقناع الطرف الآخر فهذا منهج رباني حري يستفيد منه كل مربي ومربية.

(١) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب (١٨)

المبحث الثاني

نماذج من استدلالات الشيخ محمد العثيمين بالأدلة العقلية

لقد اعتنى شيخنا بالاستدلال بالعقل في العديد من المسائل العقدية وفي معرض كلامه عن اهتمامه بالاستدل بالعقل يقول المتلقين منهم من يقنعهم الدليل السمعي ومنهم من يستلزم إقناعه دليل شرعي عقلي.وقد كان سالكاً فيه مسلك السلامة فما كان للعقل فيه مدخل أثبته بالدليل من العقل وما لا مجال للعقل فيه تنحى كالغيبيات وكيفية الصفات ونحوها قال الشيخ ~ أن تفصيل القول فيما يجب، ويجوز، ويمتنع على الله تعالى لا يدرك إلا بالسمع فوجب اتباع السمع في ذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، والسكوت عما سكت عنه[1].

سأورد في الصفحات التالية نماذج من استدلاله بالعقل في تقرير بعض المسائل العقدية لا على سبيل الحصر فشيخنا بحر في هذا وسيكون إيراد الأدلة وفق الآتي:

١ ـ استدلاله بالعقل في باب وجود الله.

٢ ـ استدلاله بالعقل في باب الربوبية.

٣ ـ استدلاله بالعقل في باب الألوهية.

٤ ـ استدلاله بالعقل في باب الأسماء والصفات.

أولا: استدلاله بالعقل في باب وجود الله

الإيمان بوجوده[2]:

يقول الشيخ العثيمين إذا قال قائل: ما الدليل على وجود الله •؟

(١) تلخيص الحموية (١٩).

(٢) شرح العقيدة الواسطية ص (٤٢ ـ٤٣)، شرح أصول الإيمان (١٣ـ١٥).

قلنا: الدليل على وجود الله: العقل، والحس، والشرع

ـ فأما دلالة العقل، فنقول: هل وجود هذه الكائنات بنفسها، أو وجدت هكذا صدفة؟

فإن قلت: وجدت بنفسها، فمستحيل عقلاً ما دامت هي معدومة؟ كيف تكون موجودة وهي معدومة؟! المعدوم ليس بشيء حتى يوجد، إذاً لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها وإن قلت: وجدت صدفة، فنقول: هذا يستحيل أيضاً، فأنت أيها الجاحد، هل ما أنتج من الطائرات والصواريخ والسيارات والآلات بأنواعها، هل وجد هذا صدفة؟! فيقول: لا يمكن أن يكون. فكذلك هذه الأطيار والجبال والشمس والقمر والنجوم والشجر والحجر والرمال والبحار وغير ذلك لا يمكن أن توجد صدفة أبداً.

ويقال: إن طائفة من السمنية جاءوا إلى أبي حنيفة ~ ، وهم من أهل الهند، فناظروه في إثبات الخالق •، وكان أبو حنيفة من أذكى العلماء فوعدهم أن يأتوا بعد يوم أو يومين، فجاءوا، قالوا: ماذا قلت؟ قال أنا أفكر في سفينة مملوءة من البضائع والأرزاق جاءت تشق عباب الماء حتى أرست في الميناء ونزلت الحمولة وذهبت، وليس فيها قائد ولا حمالون.

قالوا: تفكر بهذا؟! قال: نعم. قالوا: إذاً ليس لك عقل! هل يعقل أن سفينة تأتي بدون قائد وتنزل وتنصرف ؟!

هذا ليس معقولاً !قال كيف لا تعقلون هذا، وتعقلون أن هذه السموات والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والناس كلها بدون صانع ؟ فعرفوا أن الرجل خاطبهم بعقولهم وعجزوا عن جوابه هذا أو معناه.

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد أحاطت به الحدائق وجرت بينها الأنهار وملئ بالفرش والأسرة وزين بأنواع الزينة من

مقوماته ومكملاته وقال لك إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه أو وجد هكذا صدفة بدون موجد لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه وعددت حديثه سفهاً من القول أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه وأفلاكه وأحواله ونظامه البديع الباهر قد أوجد نفسة أو وجد صدفة بدون موجد ؟!

ثانيا: استدلاله بالعقل في باب الربوبية[1]

يقول الشيخ العثيمين في استدلاله على إفراده تعالى بالخلق بقوله فقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ (الطور:٣٥).

فإن الإنسان لم يخلق نفسه لأنه قبل وجوده عدم والعدم ليس بشيء وما ليس بشيء لا يوجد شيئاً، ولم يخلقه أبوه ولا أمه ولا أحد من الخلق، ولم يكن ليأتي صدفة بدون موجد؛ لأن كل حادث لا بد له من محدث؛ ولأن وجود هذه المخلوقات على هذا النظام والتناسق المتآلف يمنع منعاً باتاً أن يكون صدفة. إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره، فتعين بهذا أن يكون الخالق هو الله وحده فلا خالق ولا آمر إلا الله، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ (الأعراف:٥٤).

فإن قلت: كيف تجمع بين ما قررت وبين إثبات الخلق والملك والتدبير لغير الله، مثل قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون: من الآية ١٤)[2].

فالجواب أن يقال: إن الخلق هو الإيجاد، وهذا خاص بالله تعالى، أما تحويل الشيء من صورة إلى أخرى، فإنه ليس بخلق حقيقة، وإن سمي خلقاً باعتبار التكوين، لكنه في الواقع ليس بخلق تام، فمثلاً: هذا النجار صنع من الخشب باباً،

(١) شرح أصول الإيمان ص (٢٩).

(٢) شرح العقيد الواسطية (١٥-١٧).



فيقال: خلق باباً لكن مادة هذه الصناعة الذي خلقها هو الله •، لا يستطيع الناس كلهم مهما بلغوا في القدرة أن يخلقوا عود أراك أبداً، ولا أن يخلقوا ذرة ولا أن يخلقوا ذباباً.

واستمع إلى قول الله •: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ (الحج:٧٣).

الثاني: بما ان لهذا الشيء ليس ملكاً حقيقياً أتصرف فيه كما أشاء، وإنما أتصرف فيه كما أمر الشرع، وكما أذن المالك الحقيقي، وهو الله •، ولو بعت درهماً بدرهمين، لم أملك ذلك، ولا يحل لي ذلك، فإذاً ملكي قاصر، وأيضاً لا أملك فيه شيئاً من الناحية القدرية، لأن التصرف لله، فلا أستطيع أن أقول لعبدي المريض: ابرأ فيبرأ، ولا أستطيع أن أقول لعبدي الصحيح الشحيح: أمرض فيمرض، لكن التصرف الحقيقي لله •، فلو قال له: ابرأ، برأ، ولو قال: امرض. مرض، فإذاً لا أملك التصرف المطلق شرعاً ولا قدراً، فملكي هنا قاصر من حيث التصرف، وقاصر من حيث الشمول والعموم، وبذلك يتبين لنا كيف كان انفراد الله • بالمُلك.

وأما التدبير، فللإنسان تدبير، ولكن نقول: هذا التدبير قاصر، كالوجهين السابقين في الملك، ليس كل شيء أملك التدبير فيه وإنما أملك تدبير ما كان تحت حيازتي وملكي وكذلك لا أملك تدبيره إلا على وفق الشرع الذي أباح لي هذا التدبير.

وحينئذ يتبين أن قولنا: «إن الله • منفرد بالخلق والملك والتدبير»: كلية عامة مطلقة، لا يستثنى منها شيء، لأن كل ما أوردناه لا يعارض ما ثبت لله • من ذلك.

ثالثاً: استدلاله بالعقل في باب الألوهية [1]

في معرض رد الشيخ بن العثيمين على المشركين في اتخاذهم آلهة غير الله، قال قد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية فهي مخلوقة لا تخلق ولا تجلب نفعا لعابديها ولا تدفع عنهم ضرراً ولا تملك لهم حياة ولا موتاً ولا يملكون شيئاً من السموات ولا يشاركون فيه، واستدل بقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ (الفرقان:٣).

وقال تعالى: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾ (الأعراف:١٩١-١٩٢).

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه وأبطل الباطل.

والثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية كما وحدوه بالربوبية كما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٩٠ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ (المؤمنون ٨٨-٩٢).

وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ

(١) شرح أصول الإيمان ص (٢٠-٢١).

أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ (يونس:٣١-٣٢).

رابعا: استدلاله بالعقل في باب الأسماء والصفات

استدل الشيخ[١] على أن صفات الله • من الأمور الغيبية، والواجب على الإنسان نحو الأمور الغيبية: أن يؤمن بها على ما جاءت دون أن يرجع إلى شيء سوى النصوص.

بأن صفات الله • من الأمور الغيبية ولا يمكن في الأمور الغيبية أن يدركها العقل، وحينئذ لا نصف الله بما لم يصف به نفسه، ولا نكيف صفاته، لأن ذلك غير ممكن.

وعلل ذلك بأن كيفية الشيء لا تدرك إلا بواحد من أمور ثلاثة مشاهدته أو مشاهدة نظيره، أو خبر صادق عنه أي: إما أن تكون شاهدته أنت وعرفت كيفيته. أو شاهدت نظيره، كما لو قال واحد: إن فلاناً اشترى سيارة داتسون موديل ثمان وثمانين رقم ألفين. فتعرف كيفيتها، لأن عندك مثلها أو خبر صادق عنه، أتاك رجل صادق وقال: إن سيارة فلان صفتها كذا وكذا.. ووصفها تماماً، فتدرك الكيفية الآن.

ولهذا أيضاً قال بعض العلماء جواباً لطيفاً: إن معنى قولنا: «بدون تكييف»: ليس معناه ألا نعتقد لها كيفية، بل نعتقد لها كيفية لكن المنفي علمنا بالكيفية لأن استواء الله على العرش لا شك أن له كيفية، لكن لا تعلم، نزوله إلى السماء الدنيا له كيفية، لكن لا تعلم، لأن ما من موجود إلا وله كيفية، لكنها قد تكون معلومة، وقد تكون مجهولة.

---

(١) شرح الواسطية ص (٥٨).

*** انتفاء التماثل بين الخالق والمخلوق:**

ساق الشيخ العثيمين الأدلة العقلية على انتفاء التماثل بين الخالق والمخلوق من وجوه:[1]

أولاً: أن نقول لا يمكن التماثل بين الخالق والمخلوق بأي حال من الأحوال لو لم يكن بينهما من التباين إلا أصل الوجود، لكان كافياً، وذلك أن وجود الخالق واجب، فهو أزلي أبدي، ووجود المخلوق ممكن مسبوق بعدم ويلحقه فناء، فما كانا كذلك لا يمكن أن يقال: إنهما متماثلان.

ثانياً: أنا نجد التباين العظيم بين الخالق والمخلوق في صفاته وفي أفعاله، في صفاته يسمع • كل صوت مهما خفي ومهما بعد، لو كان في قعار البحار، لسمعه •.

وأنزل الله قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: ١)، تقول عائشة < : «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، إني لفي الحجرة، وإنه ليخفى عليَّ بعض حديثها» والله تعالى سمعها من على عرشه وبينه وبينها ما لا يعلم مداه إلا الله •، ولا يمكن أن يقول قائل: إن سمع الله مثل سمعنا.

ثالثاً: نقول: نحن نعلم أن الله تعالى مباين للخلق بذاته: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (البقرة:٢٥٥)، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر: ٦٧)، ولا يمكن لأحد من الخلق أن يكون هكذا، فإذا كان مبايناً للخلق في ذاته، فالصفات تابعة للذات، فيكون أيضاً مبايناً للخلق في صفاته

(١) شرح الواسطية ص (٨٣-٨٤).



• ، ولا يمكن التماثل بين الخالق والمخلوق.

رابعاً: نقول: إننا نشاهد في المخلوقات أشياء تتفق في الأسماء وتختلف في المسميات، يختلف الناس في صفاتهم: هذا قوي البصر وهذا ضعيف، وهذا قوي السمع وهذا ضعيف، هذا قوي البدن وهذا ضعيف وهذا ذكر وهذا أنثى.... وهكذا التباين في المخلوقات التي من جنس واحد، فما بالك بالمخلوقات المختلفة الأجناس؟ فالتباين بينها أظهر ولهذا، لا يمكن لأحد أن يقول: إن لي يداً كيد الجمل، أولي يداً كيد الذرة، أو لي يداً كيد الهر، فعندنا الآن إنسان وجمل وذرة وهر، كل واحد له يد مختلفة عن الثاني، مع أنها متفقة في الاسم فنقول: إذا جاز التفاوت بين المسميات في المخلوقات مع اتفاق مع فجوازه بين الخالق والمخلوق ليس جائزاً فقط بل هو واجب؛ فعندنا أربعة وجوه عقليه كلها تدل على أن الخالق لا يمكن أن يماثل المخلوق بأي حال من الاحوال.

*** رده على من قال أن الله بذاته في كل مكان:**(١)

يقول الشيخ العثيمين و الدليل العقلي على بطلان قولهم، فنقول: إذا قلت: إن الله معك في كل مكان، فهذا يلزم عليه لوازم باطلة، فيلزم عليه:

أولاً: إما التعدد أو التجزؤ، وهذا لازم باطل بلا شك، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.

ثانياً: نقول: إذا قلت: إنه معك في الأمكنة، لزم أن يزداد بزيادة الناس، وينقص بنقص الناس.

ثالثاً: يلزم على ذلك ألا تنزهه عن المواضع القذرة، فإذا قلت: إن الله معك وأنت في الخلاء فيكون هذا أعظم قدح في الله •.

(١) شرح الواسطية ص (١٤٣_١٤٤).



فتبين بهذا أن قولهم مناف للسمع ومناف للعقل، وأن القرآن لا يدل عليه بأي وجه من الدلالات، لا دلالة مطابقة ولا تضمن ولا التزام أبداً.

*** رده على من قال إن الله ليس بجهة :**

أولاً: إن نفيكم للجهة يستلزم نفي الرب •، إذ لا نعلم شيئاً لا يكون فوق العالم ولا تحته ولا يمين ولا شمال، ولا متصل ولا منفصل، إلا العدم، ولهذا قال بعض العلماء: لو قيل لنا صفوا الله بالعدم ما وجدنا أصدق وصفاً للعدم من هذا الوصف.

ثانياً: قولكم: إثبات الجهة يستلزم التجسيم! نحن نناقشكم في كلمة الجسم! ما هذا الجسم الذي تنفرون الناس عن إثبات صفات الله من أجله؟!

أتريدون بالجسم الشيء المكون من أشياء مفتقر بعضها إلى بعض لا يمكن أن يقوم إلا باجتماع هذه الأجزاء؟! فإن أردتم هذا، فنحن لا نقره، ونقول: إن الله ليس بجسم بهذا المعنى، ومن قال: إن إثبات علوه يستلزم هذا الجسم، فقوله مجرد دعوى ويكفينا أن نقول: لا قبول.

*** رده على من سلب أسماء الله معانيها وعللوا ذلك بأن تعدد الصفات يستلزم تعدد القدماء:**

فلأن الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف،حتى يلزم من ثبوتها التعدد؛ وإنما هي من صفات من اتصف بها، فهي قائمة به، وكل موجود فلا بدَّ له من تعدد صفاته، ففيه صفه الوجود، وكونه واجب الوجود، أو ممكن الوجود، وكونه عيناً قائماً بنفسه أو وصفاً في غيره[1].

- أن صفات الله كلها صفات كمال لانقص فيها.

(١) القواعد المثلى ص (١٥).

فوجهه أنَ كل موجود حقيقة، فلا بد أن تكون له صفة؛ كمال، وإما صفة نقص. والثاني الربِ الكامل المستحق للعبادة؛ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز، فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ (الأحقاف: ٥).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (النحل: ٢٠-٢١).

وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ (مريم: ٤٢).

وعلى قومه: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٦٦-٦٧).

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال، وهي من الله تعالى، فمعطي الكمال أولى به.(١)

إن ظواهر النصوص معلومة لنا باعتبار ومجهولة باعتبار آخر العقل: فلأن المتكلم بهذا النصوص أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين؛ فوجب قبوله على ظاهره، وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة.(٢)

وأما **العقل**: فلأن من المُحال أن ينزل الله تعالى كتاباً أو يتكلم رسوله ﷺ بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق، ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهول المعنى، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شئ؛ لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى، وقد قال تعالى عن كتابه: ﴿ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هود: ١).

(١) القواعد المثلى ص (٢٨-٢٩).
(٢) القواعد المثلى ص (٤٧).



هذه دلالة السمع والعقل على علمنا بمعاني نصوص الصفات. وأما دلالتها على جهلنا لها باعتبار الكيفية، فقد سبقت في القاعدة السادسة من قواعد الصفات.

وبهذا عُلم بطلان قول الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات،ويدعون أن هذا مذهب السلف،والسلف بريئون من هذا المذهب، وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحياناً وتفصيلاً أحياناً، وتفويضهم الكيفية إلى علم الله •.[1]

وأما العقل فقد دل على وجوب صفة الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص. والعلو صفة كمال والسفل نقص، فوجب لله تعالى صفة العلو وتنزيهه عن ضده.[2]

*** إثبات علـوه سـبحانه :** [3]

قال الشيخ وأما العقل: فإن كل عقل صريح يدل على وجوب علو الله بذاته فوق خلقه من وجهين:

الأول: أن العلو صفة كمال الله تعالى قد وجب له الكمال المطلق من جميع الوجوه فلزم ثبوت العلو له تبارك وتعالى.

الثاني: أن العلو ضده السفل، والسفل صفة نقص، والله تعالى منزه عن جميع صفات النقص، فلزم تنزيهه عن السفل، وثبوت ضده له وهو العلو.

*** الرد على من أنكر صفة المحبة :** [4]

يقول فنحن: نثبت المحبة بالأدلة العقلية، كما هي ثابتة عندنا بالأدلة السمعية، احتجاجاً على من أنكر ثبوتها بالعقل، فنقول وبالله التوفيق:

(١) القواعد المثلى ص (٤٨).
(٢) القواعد المثلى ص (٨٢).
(٣) شرح الواسطية ص (١٤٦)،، تلخيص الحموية (٤/ ٣٦).
(٤) شرح الواسطية ص (١٩٩).

إثابة الطائعين بالجنات والنصر والتأييد وغيره، هذا يدل بلا شك على المحبة، ونحن نشاهد بأعيننا ونسمع بآذاننا عمن سبق وعمن لحق أن الله • أيد من أيد من عباده المؤمنين ونصرهم وأثابهم، وهل هذا إلا دليل على المحبة لمن أيدهم ونصرهم وأثابهم •؟!

❊ إثبات صفة الرحمة :[1]

يقدم الشيخ محمد في معرض حديثه عن صفة الرحمة لله تعالى بأن كل الخلائق تتراحم، البهائم والعقلاء، ولهذا تجد البعير الجموح الرموح ترفع رجلها عن ولدها مخافة أن تصيبه عندما يرضع حتى يرضع بسهولة ويسر، وكذلك تجد السباع الشرسة تجدها تحن على ولدها وإذا جاءها أحد في جحرها مع أولادها، ترمي نفسها عليه، فتدافع عنهم، حتى ترده عن أولادها.

وأما الأدلة العقلية على ثبوت الرحمة لله تعالى، فمنها ما نرى من الخيرات الكثيرة التي تحصل بأمر الله •، ومنها ما نرى من النقم الكثيرة التي تندفع بأمر الله، كله دال على إثبات الرحمة عقلاً.

فالناس في جدب وفي قحط، الأرض مجدبة، والسماء قاحطة، لا مطر، ولا نبات، فينزل الله المطر، وتنبت الأرض، وتشبع الأنعام، ويسقي الناس.. حتى العامي الذي لم يدرس، لو سألته وقلت: هذا من أي شيء؟ فسيقول: هذا من رحمة الله ولا يشك أحد في هذا أبداً

❊ إثبات صفة الرضا لله سبحانه:[2]

ولو قال لك قائل: فسر لي الرضى. لم تتمكن من تفسيره، لأن الرضى صفة في

---

(١) شرح الواسطية ص (١١٢).

(٢) شرح الواسطية ص (٢١٦).

الإنسان غريزية، والغرائز لا يمكن لإنسان أن يفسرها أجلي وأوضح من لفظها.

فنقول: الرضى صفة في الله •، وهي صفة حقيقية، متعلقة بمشيئته، فهي من الصفات الفعلية، يرضى عن المؤمنين وعن المتقين وعن المقسطين وعن الشاكرين ولا يرضى عن القوم الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يرضى عن المنافقين، فهو سبحانه وتعالى يرضى عن أناس ولا يرضى عن أناس، ويرضى أعمالاً ويكره أعمالاً.

وبالدليل العقلي، فإن كونه • يثيب الطائعين ويجزيهم على أعمالهم وطاعاتهم يدل على الرضى.

فإن قلت: استدلالك بالمثوبة على رضى الله • قد ينازع فيه، لأن الله سبحانه قد يعطي الفاسق من النعم أكثر مما يعطي الشاكر. وهذا إيراد قوي.

ولكن الجواب عنه أن يقال: إعطاؤه الفاسق المقيم على معصيته استدراج، وليس عن رضى كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (الأعراف:١٨٢-١٨٣).[(١)]

*** صفة السخط والغضب والرد على من أولها بالانتقام:**

أن أهل التعطيل من الأشعرية وغيرهم يقولون: إن المراد بالسخط والغضب الانتقام، أو إرادة الانتقام، ولا يفسرون السخط والغضب بصفة من صفات الله يتصف بها هو نفسه، فيقولون: غضبه، أي انتقامه، أو بالإرادة لأنهم يقرون بها، ولا يفسرونه بأنه صفة ثابتة لله على وجه الحقيقة تليق به.

فيرد عليهم الشيخ بقوله: بل السخط والغضب غير الانتقام، والانتقام نتيجة الغضب والسخط، كما نقول: إن الثواب نتيجة الرضى، فالله سبحانه وتعالى يسخط

(١) شرح الواسطية ص (٢٢٥).



على هؤلاء القوم ويغضب عليهم ثم ينتقم منهم.

وإذا قالوا: إن العقل يمنع ثبوت السخط والغضب لله • .

فإننا نجيبهم بما سبق في صفة الرضى، لأن الباب واحد.

ونقول: بل العقل يدل على السخط والغضب، فإن الانتقام من المجرمين وتعذيب الكافرين دليل على السخط والغضب، وليس دليلاً على الرضى، ولا على انتفاء الغضب والسخط.

ونقول: هذه الآية: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ (الزُّخرُف:٥٥)، ترد عليكم، لأنه جعل الانتقام غير الغضب، لأن الشرط غير المشروط.

*** إثبات صفة الكلام لله تعالى :**[١]

ويقول الشيخ في باب إثبات عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن بقولهم: إن القرآن كلام الله، منزل، غير مخلوق منه بدأ، وإليه يعود.

أما الدليل العقلي؛ فنقول: القرآن كلام الله، والكلام ليس عيناً قائمة بنفسها حتى يكون بائناً من الله، ولو كان عيناً قائمة بنفسها بائنة من الله؛ لقلنا: إنه مخلوق، لكن الكلام صفة للمتكلم به، فإذا كان صفة للمتكلم به، وكان من الله؛ كان غير مخلوق؛ لأن صفات الله • كلها غير مخلوقة.

وأيضاً؛ لو كان مخلوقاً؛ لبطل مدلول الأمر والنهي والخبر والاستخبار؛ لأن هذه الصيغ لو كانت مخلوقة. لكانت مجرد أشكال خلقت على هذه الصورة لا دلالة لها على معناها؛ كما يكون شكل النجوم والشمس والقمر ونحوها.

(١) شرح الواسطية ص (٣٦٣).



* **إثبات صفة العلم وأن علمه غير مسبوق بجهل ولا ملحوق بنسيان :**[1]

إن الله تعالى موصوف بأنه عالم بما الخلق عاملون بعلمه القديم الأزلي الذي لا نهاية لأوله، عالم جل وعلا بأن هذا الإنسان سيعمل كذا في يوم كذا في مكان كذا بعلمه القديم الأزلي؛ فيجب أن نؤمن بذلك.

وأما العقل؛ فإن من المعلوم بالعقل أن الله تعالى هو الخالق، وأن ما سواه مخلوق، ولابد عقلاً أن يكون الخالق عالماً بمخلوقه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء:٣٢)، ولهذا كان علم الله • غير مسبوق بجهل ولا ملحوق بنسيان.

* **القول فيما لم يرد نفيه ولا إثباته في الكتاب والسنة :**[2]

إن منهج أهل السنة فيما لم يرد نفيه ولا إثباته مما تنازع الناس فيه كالجسم، والحيز والجهة ونحو ذلك، فطريقتهم فيه التوقف في لفظه فلا يثبتونه ولا ينفونه لعدم ورود ذلك، وأما معناه فيستفصلون عنه، فإن أريد به باطل ينزه الله عنه ردوه، وإن أريد به حق لا يمتنع على الله قبلوه.

وهذه الطريقة هي الطريقة الواجبة، وهي القول الوسط بين أهل التعطيل، وأهل التمثيل.

فأما العقل فوجه دلالته: أن تفصيل القول فيما يجب، ويجوز، ويمتنع على الله تعالى لا يدرك إلا بالسمع فوجب اتباع السمع في ذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، والسكوت عما سكت عنه.

تلك كانت ملامح من استدلالات الشيخ محمد العثيمين وجهوده في الاستدلال

---

(١) شرح الواسطية ص (٥٤٥).

(٢) تلخيص الحموية ضمن مجموع فتاوى ابن عثيمين (٤/ ١٩).

بالأدلة العقلية لتقرير المسائل العقدية بذلت الوسع في جمعها فما كان فيه من صواب فمن تيسير المولى وفضله.

خامسا: استدلاله بالعقل في باب القضاء والقدر

*** رد الشيخ على من احتج بالقدر على فعل المعصية:**[1]

فقال الدليل العقلي على بطلان احتجاج العاصي بالقدر على معصية الله أن نقول له: ما الذي أعلمك بأن الله قدر لك أن تعصيه قبل أن تعصيه؟ فنحن جميعاً لا نعلم ما قدر الله إلا بعد أن يقع؛ أما قبل أن يقع، فلا ندري ماذا يراد بنا؛ فنقول للعاصي: هل عندك علم قبل أن تمارس المعصية أن الله قدر لك المعصية؟ سيقول: لا. فنقول: إذاً لماذا لم تقدر أن الله قدر لك الطاعة وتطع الله؛ فالباب أمامك مفتوح، فلماذا لم تدخل من الباب الذي تراه مصلحة لك؛ لأنك لا تعلم ما قدر لك. واحتجاج الإنسان بحجة على أمر فعله قبل أن تتقدم حجته على فعله احتجاج باطل؛ لأن الحجة لابد أن تكون طريقاً يمشي به الإنسان؛ إذ أن الدليل يتقدم المدلول.

ونقول له أيضاً: ألست لو ذكر لك أن لمكة طريقين أحدهما طريق معبد آمن، والثاني طريق صعب مخوف؛ ألست تسلك الآمن؟ سيقول: بلى. فنقول: إذاً؛ لماذا تسلك في عبادتك الطريق المخوف المحفوف بالأخطار، وتدع الطريق الآمن الذي تكفل الله تعالى بالأمن لمن سلكه فقا ل سبحانه: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ (الأنعام: ٨٢).

ونقول له: لو أعلنت الحكومة عن وظيفتين: إحداهما بالمرتبة العالية، والثانية بالمرتبة السفلي؛ فأيهما تريد؟ بلا شك سيرد المرتبة العالية، وهذا يدل على أنك تأخذ بالأكمل في أمور دنياك؛ فلماذا لم تأخذ بالأكمل في أمور دينك ؟! وهل هذا إلا

(١) شرح الواسطية (٥٧٢).

تناقض منك؟!

وبهذا يتبين أنه لا وجه أبداً لاحتجاج العاصي بالقدر على معصية الله • .

*** رد على الجبرية القائلين أن العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة بقوله:**(١)

إن الكون كله مملوك لله تعالى والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته.

سادساً: استدلاله بالعقل في باب الإيمان

المرجئة الخالصة يقولون: إن الإيمان إقرار القلب وزعموا أن إقرار القلب لا يتفاوت فالفاسق والعدل عندهم سواء في الإيمان.

رد عليهم الشيخ بقوله: «إن الإيمان هو إقرار القلب، وإقرار القلب لا يتفاوت» ممنوع في المقدمتين جميعاً.

أما المقدمة الأولي: فتخصيصكم الإيمان بإقرار القلب مخالف لما دل عليه الكتاب والسنة من دخول القول والعمل في الإيمان.

وأما المقدمة الثانية فقولكم: «إن إقرار القلب لا يتفاوت» مخالف.

سابعاً: استدلاله بالعقل في باب اليوم الاخر

رد الشيخ على من **أنكر إحياء الموتى** بدليلين(٢):

أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن فرد عليهم مستدلاً بالعقل قائلاً:

---

(١) شرح أصول الإيمان (٦٠).

(٢) شرح أصول الإيمان (٤٧-٥١).

وأما دلالة العقل فمن وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى فاطر السماوات والأرض وما فيهما، خالقهما ابتداء، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (الروم: ٢٧).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

وقال آمرا بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٩).

الثاني: أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج والقادر على إحيائها بعد موتها قادر على إحياء الأموات قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت: ٣٩)، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ (ق: ٩ – ١١).

وأما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق فجوابه من وجوه منها:

الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات وقد قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً   وآفته من الفهم السقيم

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس ولو كانت

تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب ولتساوي المؤمنون بالغيب والجاحدون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت دون غيره وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش أو في مكان واسع بهيج وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وبين فراشه وغطائه ولقد كان النبي ﷺ يوحى إليه وهو بين أصحابه فيسمع الوحي فيكلمه والصحابة لا يرون الملك ولا يسمعونه

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه ولا يمكن أن يدركوا كل موجود فالسماوات السبع ولأرض ومن فيهن وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحاً حقيقياً يسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحياناً **ومع ذلك** هو محجوب عنا وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** ﴾ (الإسراء: ٤٤).

وهكذا الشياطين والجن يسعون في الأرض ذهاباً وإياباً وقد حضرت الجن إلى رسول الله ﷺ واستمعوا لقراءته وأنصتوا وولوا إلى قومهم منذرين ومع هذا فهم محجوبون عنا وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ **يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ** ﴾ (الأعراف: ٢٧)، وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب ولم يدركوه.

هذا ما يسر المولى لي جمعه مما خَلَّفَهُ لنا شيخنا محمد العثيمين في باب عنايته بالاستدلال بالعقل أوردته كما أسلفت على سبيل الإيضاح لا الحصر فبحره زاخر والميدان رحب.

1238 Blank

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد الذي أرسله المولى هداية ورحمة للبريات، عليه وعلى آله صلاة رب البريات، عليه وعلى آله صلاة رب الأرض والسموات وبعد:

أحمد المولى سبحانه وتعالى على أن مَنَّ عَليَّ بإتمام هذا البحث والذي هو بعنوان: «**ملامح من استدلالات الشيخ محمد بن عثيمين العقلية لتقرير المسائل العقدية**».

أحمد الله على تيسيره وتوفيقه وعونه فهو أهل للحمد في كل موطن وإني لأرجو منه سبحانه أن ينفعني بما علمني هذا وأختم بحثي بعرض النتائج التي وقفت عليها من خلال عملي في هذا البحث **وألخصها في الآتي**:

- ما حظي به العقل من مكانة وعناية عظيمتين في الوحيين.
- التنظيم المبني على ما شرعه الله سبحانه من أُسس في باب الاستدلال بالعقل.
- عناية الوحيين بأسلوب الحوار العقلي وهذا يؤصل لنا منهجاً في التعليم والإقناع والتربية.
- الحوار مع العقول منهج اتبعه القرآن مع المؤمن والكافر.
- الطريقة التدرجية التي سلكها الله في كتابه ومحمد ﷺ في سنته في باب إقناع المستهدف بدأ بنقاشه بالمسلمات التي يتفق عليها ومن ثم إيصاله للهدف المراد طرحه.
- المَلَكَة التي حباها المولى سبحانه للشيخ محمد العثيمين في باب استحضار الاستدلالات العقلية.

- الشيخ محمد له طريقه مميزة في استعراض الأدلة على المسائل المطروحة.
- الشيخ محمد تميز بسهولة الأسلوب ووضوح الهدف.
- الشيخ محمد تميز ببعده عن التعقيد في العبارة والكلف في الطرح.
- الشيخ محمد تميز بحرصه على تفصيل المسائل اختصارها.
- استدلالات الشيخ العقلية تركزت في باب الأسماء والصفات.
- استدلالات الشيخ معتمدها الكتاب والسنة والاجماع.
- أُوصي بالتوسع في بحث هذا الموضوع وأثره على المتلقي دراسة ميدانية.

هذا والله أسال أن يغفر لشيخنا ويبوّءه الدرجات العلى، وأن يجزيه عنا خير الجزاء، وأن يجمعنا به ووالدينا في جنات النعيم.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلاة على المرسلين.

ترجمة الأعلام الواردة في البحث

١ـ **أبي هريرة** : هو عبدالرحمن بن صخر الدوسي، اختلف في اسمه فقيل: عبدالله، كُني بأبي هريرة لهرة كان يضعها في كمّه فرآه النبي فقال له: [يا أبا هريرة]، أسلم عام خيبر، ولزم النبي رغبةً في العلم، كان من المكثرين لرواية الحديث، توفي بالمدينة وقيل بالبصرة عام (٥٧هـ) وهو ابن (٧٨ سنة).

انظر: الإصابة (٤/ ٢٦٧)، الاستيعاب ص(٣٦٢).

٢ـ **ابن تيمية**: هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس،لقبه تقي الدين ابن تيمية، شيخ الأسلام محدث حافظ مفسر فقيه مجتهد، له مؤلفات عدة منها: اقتضاء الصراط بعنوان: مجموع فتاوى ورسائل شيخ الإسلام ابن تيمية ولد سنه (٦٦١هـ) وتوفي سنة (٧٨٢هـ) رحمة الله عليه.

انظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (١/ ١٤٤)، معجم المؤلفين (١/ ١٦٣).

٣ـ **الراغب**: هو الحسين بن بن محمد الفضل الأصفهاني الملقب بالراغب، العلامة الماهر أديب اشتهر حتى كان يُقرن بالإمام الغزالي، من كتبه الذريعة إلى مكارم الشريعة ـ محاضرات الأدباء ـ المفردات في غريب القرآن، توفي سنة (٥٠٢هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠)، معجم المؤلفين(١/ ٥٨١).

٤ـ **ابن منظور**: هو مكرم بن علي الأنصاري الأفريقي، أبو الفضل، الإمام اللغوي الحجة، يلقب بابن منظور، من مؤلفاته: لسان العرب توفي سنة (٧١١).

انظر: بغية الوعاة (١/ ٢٤٨)، الأعلام (٧/ ١٠٨).

٥ـ **الجرجاني**: هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني من كبار العلماء بالعربية، له نحو خمسين مصنفاً منها لتعريفات ـ تحقيق الكليات، توفي سنة (٨١٦ هـ).

انظر: الأعلام (٦/ ٥٥٥).

٦ـ **عائشة بنت أبي بكر الصديق**: هي أم عبدالله، من أكابر فقهاء الصحابة، بنى بها رسول الله ﷺ في شوال بعد وقعة بدر، ونزلت الآيات بتبرئتها مما رماها به أهل الإفك، حدَث عنها جماعة من الصحابة والتابعين، توفيت سنة (٥٧ أو ٥٨) عن عُمر يناهز (٦٥ عاماً).

انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥)، تذكره الحفاظ(١/ ٢٧).

٧ـ **ابن عباس** : هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن عبدمناف الهاشمي، ابن عم الرسول ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وبنو هاشم في الشعب، دعا له الرسول ﷺ بالعلم والحكمة وتأويل القرآن مع البركة والصلاح، وكان يحبه ويدنيه ويقربه ويشاوره وكان عمر يعده للمعضلات مع اجتهاد عمر وفقهه، توفي بالطائف سنه (٨٦هـ).

انظر: الإصابة (٤/ ١٢١)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣١).

***

